إيبارشية جنوبي أمريكا للأقباط الأرثوذكس

الرسالة الشهرية لزوجات الآباء الكهنة ــ أغسطس ٢٠٢٥م

اعتراف علني لزوجة كاهن

القلب المشتعل لزوجة الكاهن

أخواتي العزيزات،

لأكون منصفة لكنّ، أخواتي العزيزات، لا أستطيع تعميم نقاط ضعفي على الجميع. ولكن بفضل نعمته وصلوات جميع القديسين، يحفظكن في أمان. ومع ذلك، فإن رغبتي في مشاركة تلك الضعفات تنبع من محبتي الصافية لكل واحدة منكن، لكي لا تشعرن بالوحدة في معاركن الخاصة.

على مرّ السنين، أتاح الله لي لقاء العديد من زوجات الكهنة. كلّ منهن فريدة وجميلة من الداخل والخارج، مملوءة بثمار الروح بطريقتها الخاصة.

ومع تعمق الحوارات ومرور الوقت، لاحظت بعض الأنماط والطباع أو الأدوار التي بدت وكأنها تتكرر. هذه ليست قوالب نمطية بالطبع، بل أشبه بثلاثة أنماط مميزة تتجلى بصور مختلفة. أؤمن أن لكل زوجة كاهن دعوتها الخاصة، وأنها غالباً ما تمرّ بمواسم تجد فيها نفسها تنتقل بين هذه الأنماط:

النموذج الأول :تبدأ بحماسة وتنتهي بحماسة. فمن اليوم الأول لخدمة أبونا، تقف إلى جانبه: تصلّي لأجله، وتُنشئ بيتاً دافئاً مسالماً، وتهتم بأطفالها بعناية. دعمها هادئ وثابت، ومحبتها للمسيح تغذي محبتها للكنيسة. إنها تعيش كلمات سفر الأمثال ٣١: ١١–١٢: "بِهَا يَثِقُ قَلْبُ زَوْجِهَا فَلاَ يَحْتَاجُ إِلَى غَنِيمَةٍ. تَصْنَعُ لَهُ خَيْراً لاَ شَرّاً كُلَّ أَيَّامِ حَيَاتِهَا."

طوبى لها فلن ينهض أبناؤها بالجسد وينادونها مباركةً فحسب، بل أبناؤها الروحيون أيضاً. تصبح حياتها أيقونة حيّة، انعكاساً للكنيسة نفسها: حنونة، ثابتة، وممتلئة بالنعمة.

النموذج الثاني ليس لنقص في الحب، بل لأن قلبها لم يدخل بالكامل في البركة المشتركة للكهنوت. لقد وافقت على رسامة زوجها الكهنوتية، ولكنها منذ تلك اللحظة تراجعت بلطف خطوةً إلى الخلف. تختار أن تبقى بعيدة عن خدمته ليس تمرداً، بل حفاظاً هادئاً على الذات. يتحدد عالمها بعملها، بمنزلها القريب، وأصدقائها. تعيش في نوع من الفقاعة، ليس بالضرورة من حقد، ولكن ربما من الإرهاق أو الخوف أو شعور بانقطاع عن الحياة التي قبلها أبونا. وعندما تطلب زوجة مرشّح نصيحتها، كانت تثنيها عن القبول...

ومع ذلك، حتى هنا، فلا يزال هناك متسع للنعمة. فالله وحده يعلم القلوب، والروح ذاته الذي يدعو ويقوّي أبونا، قادر أيضاً على شفاء وتحويل. بالنسبة لهؤلاء الأخوات العزيزات، ليس أبداً متأخراً أن يفتحن قلوبهن أكثر لدعوة الله التي وضعها على عاتق عائلاتهن.

النموذج الثالث يبدأ بحماس عظيم مفعماً بمحبة المسيح، منهمكةً بعمق في خدمة أبونا، ومتلهفةً للصلاة. يحترق قلبها بنار الحماسة. تقدّم صلواتها وحضورها وطاقتها كلها في تواضع. تُدعم زوجها، وتُدير منزلها، وتلتحم بكل جوارحها بحياة الكنيسة.

ولكن مع مرور الوقت، يحدث تغيير...

شيئاً فشيئاً، تبدأ في فقدان التركيز ليس على الخدمة نفسها، بل على المسيح، حبّها الأول. تستمر الخدمة، لكن النار الداخلية تخفت. تبدأ متطلبات الحياة، والضغط للظهور دائماً قوية، وثقل التوقعات غير المنطوقة بأخذ مأخذها. يضعف نظام صلاتها، وتنمو حياتها الداخلية في سكون، ويصبح قلبها فاتراً. تتحول الخدمة إلى روتين، وبالنسبة لي شخصياً، أصبحت مجرد فعل، دور ألعبه. أصبحت، في الحقيقة، منافقة.

بالنسبة لي، جاءتني هذه الكلمات من سفر الرؤيا كهمسة من السماء:

"لَكِنْ عِنْدِي عَلَيْكَ أَنَّكَ تَرَكْتَ مَحَبَّتَكَ الأُولَى. فَاذْكُرْ مِنْ أَيْنَ سَقَطْتَ وَتُبْ، وَاعْمَلِ الأَعْمَالَ الأُولَى..." (رؤيا ٢ :٤–٥)

ومع ذلك، حتى هنا، الرجاء لم يضع. فالله ذاته الذي دعانا يوماً، يمكنه أن يدعونا مرة أخرى لأن:

"قَصَبَةً مَرْضُوضَةً لاَ يَقْصِفُ وَفَتِيلَةً مُدَخِّنَةً لاَ يُطْفِئُ" (متى ١٢: ٢٠). الفحم يظل متوهجاً تحت الرماد. كل ما يلزم هو عودة وذكرى، خُطوة صغيرة نحو الذي لم يتوقف عن محبتنا.

"وَأُعْطِيكُمْ قَلْباً جَدِيداً وَأَجْعَلُ رُوحاً جَدِيدَةً فِي دَاخِلِكُمْ، وَأَنْزِعُ قَلْبَ الْحَجَرِ مِنْ لَحْمِكُمْ وَأُعْطِيكُمْ قَلْبَ لَحْمٍ. وَأَجْعَلُ رُوحِي فِي دَاخِلِكُمْ، وَأَجْعَلُكُمْ تَسْلُكُونَ فِي فَرَائِضِي وَتَحْفَظُونَ أَحْكَامِي وَتَعْمَلُونَ بِهَا." (حزقيال ٣٦: ٢٦–٢٧)

للأسف، كنت أنا النموذج الثالث!

عندما دُعي أبونا لأول مرة لهذه البركة العظيمة، كنت مفعمة بالحماسة، داعمةً، مبتهجةً، شاكرةً للغاية لأن عائلتنا ستُذكَر على المذبح. شعرت بالفخر لخدمته، وكنت متلهفة لاستمرار خدمتي الخاصة. اعتدت أن أصلي لأجله حتى أثناء إلقائه للعظات، طالبَةً من الروح القدس أن يمس قلوب الحاضرين. وجعلت من بيتنا ملاذاً آمناً حتى يتفرغ أبونا تماماً للخدمة.

لكن شيئاً فشيئاً، يوماً بعد يوم، وشهراً بعد شهر، تغيرتُ. في خلال أقل من عام اعتراني الفتور.

تسللت سياسات الكنيسة إلى حياتي. وبدأتْ انتقادات الناس تؤلمني وشعرت أن أعباء أطفالنا وثقل التوقعات تطغو عليَّ. والسبب الأساسي كان إهمالي لقانوني، حيث صلاتي هي أساس ومصدر قوتي في غرفتي الداخلية. وأصبحت كسولة في الاعتراف. بدون تلك الأساسيات، تحولتُ تدريجياً لشخصٍ آخر.

من الخارج، كنت أبدو "متدينة" كزوجة كاهن. لكن من الداخل، كنت أعيش في ظلمة. كانت لي معايير مزدوجة في تعاملي مع الجماعة. بدأت أتكلم بسلبية عن الكنيسة، عن الخدمة، وحتى عن الكهنوت نفسه، دون أن أدرك أن المشكلة ليست في الكهنوت. الخلل كان في قلبي.

بدأت هذه السلبية تُؤثر على أطفالنا. فبالرغم من محبة أبونا العميقة لهم ومنحه إياهم وقته، زرعتْ كلماتي في أذهانهم فكرة أنه يهتم بالكنيسة أكثر منهم. فنشأت لديهم مقاومة تجاه الكهنوت، ليس بسبب أبونا، بل بسبب موقفي.

ضعت، ذهب السلام الذي كان يملأ قلبي. وتلاشت فرحة تقديم حياتنا للرب شيئاً فشيئاً. وبدلاً من أن أكون عمود أبونا الفقري، داعمةً إياه بالصلاة الحارة، أصبحت شوكة تعوق ليس خدمته فحسب، بل كل من احتك به. توقفت عن دعمه، وبدأ الخلاف ينشأ بيننا.

ولكن حمداً لله الذي لا يريد موت الخاطئ بل أن يتوب ويحيى، فأرسل لي أباً روحياً حقيقياً. من خلال إرشاده وصلواته، بدأت نعمة الله تعمل فيّ ببطء. شرعتُ في رحلة طويلة من التوبة وأصبحتُ كتاباً مفتوحاً في الاعتراف، متذكرةً وعده: "مَنْ يَكْتُمُ خَطَايَاهُ لاَ يَنْجَحُ وَمَنْ يُقِرُّ بِهَا وَيَتْرُكُهَا يُرْحَمُ." (أمثال ٢٨: ١٣)

والآن، ومن خلال صلواتكن لأجلي، أطلب القوة للاستمرار في طريق التوبة حتى آخر يوم في حياتي.

إننا جميعاً نسير في هذا الطريق المقدس وغالباً ما يكون خفياً. سواء وجدنا أنفسنا بحماسة ثابتة، أو بمسافة هادئة، أو باحتراقٍ متعب، فاعلمْنَ أنكن لستن وحيدات.

هذه الرحلة ليست سهلة لكنها مقدسة. وربنا الذي يرى في الخفاء، يعلم كل تضحية صامتة وكل دمعة غير مرئية وكل صلاة هامسة. باب غرفتنا الداخلية لا يزال مفتوحاً والمحبة الأولى لا تزال تدعونا، لم تتوقف أبداً. فلتكن عودتنا إليه مراراً وتكراراً، مجدَدين بالتوبة، معزَّزين بالنعمة، ومتقوين بصلاتنا بعضنا لبعض.